شبابنا والعمل

لحضرة رفيقنا اسعد افندي داغر

تعجّبتُ من رزق الفتى كيف انهُ يقومُ لديهِ والفتى عنهُ قاعدُ
وأعجبُ منهُ انهُ في فعودهِ يقاسي عنا إملاقهِ ويكابدُ
فنوعٌ من الدنيا بشكراهُ أنّها تصادرُ حرًّا مثلهُ وتُعانِدُ
يبيتُ وشكواهُ بفيهِ مقيمةٌ يردّدُها في حلمهِ وهو راقدُ
ويُصبحُ ايضًا والتذمّر ضاغطٌ عليهِ منيخٌ والتأفّفُ سائدُ
وآفتهُ التخريرُ فهو مطوّحٌ بهِ ولهُ قسرًا الى الغيّ قائدُ
فتىً مثل هذا في الحقيقة زائغٌ بهِ الجهل عن سبّلِ الرشاد وشاردُ
وأخلقْ بهذا ان يكون ممثلاً لفتياننا الاغرار والحقُّ شاهدُ
فأكثرهم إن لم اقل كلهم غدوا كهذا الفتى والكلُّ في الخطب واحدُ
فليتَ استواهم في التقاعسِ كان في ال تنافسِ في ما منهُ تجنى فوائدُ
وفي السعي دومًا خلف ما هو نافعٌ بشرطِ اتحادٍ معهُ ايضًا تعاضُدُ
"على المرء ان يسعى لما فيهِ نفعهُ وليس عليهِ ان تتمّ المقاصدُ"

كثيرًا ما سمعنا شكوى شبابنا وتذمّر فتياننا من انهم لا يجدون اعمالاً يقامون عليها ومناصب يدعون اليها حتى انهُ لا يسمع من يسمع الشكوى . ويطلع على ظاهر هذه الدعوى . الاّ مقاسمتهم الاسف والكدر . ومشاركتهم في السآمة والضجر . ولكن من يتبطنها بعين نقّادة . ويسبر غورها بفكرة صائبة وقّادة . يرى ان شبابنا هم في الغالب علة الضيق والعسر . وسبب ما يشكونهُ من الفاقة والفقر . لاسباب اجملتها في الابيات المتقدمة على نية البسط والتفصيل واذا بي اطلعت في احد اعداد جريدة الكسموبولتن الاميركيّة على مقالة في هذا الموضوع او تقرب منهُ وجّهَ واضعها كلامهُ فيها الى شبّان مدينة نيويورك الذين تنطبق احوالهم من اكثر الوجوهِ على احوال شبّاننا في الديار الشاميّة والمصريّة فعمدت الى تلخيصها خدمة للقراء الكرام . قال صاحبها :

من رأي احد الاغنياء في نيويورك ان سبيل الغنى والثروة مفتوح امام كل شاب قويّ البنية متوقد الذهن . على أنّ هذا الرأي وُجد بعد انتقادهِ وتمحيصهِ غايةً في المبالغة وظهر من بحث احد المدققين في الاحصاآت العامة ان ستين في المئة من شبان هذه

المدينة العاملين متوسط ما يكسبهُ كلٌّ منهم الف ريال في السنة واثني عشر في المئة متوسط ما يكسبهُ الواحد منهم الفا ريال . وخمسة في المئة يزيد متوسط ما يكسبهُ كلٌّ منهم على الفي ريال . واكثر شبان نيويورك الذين هم بين الثانية والعشرين والثلثين من العمر يقلُّ متوسط دخلهم الاسبوعي عن الثلثين ريالاً (والريال يساوي خمسة فرنكات ولكنهُ في نيويورك بمثابة الفرنك عندنا) وعليهِ فنجاح شبان هذه المدينة قليل جدًّا . وغير خافٍ ان هذا القياس مأخوذ باعتبار الدخل وقد لا ينال الشاب ما يستحقهُ من الاجرة ولكن في الغالب يكون دخلهُ دليلاً صحيحًا على اهليتهِ واقتدارهِ . ومعلوم ان كل شابٍّ يودُّ ان ينجح ويكسب اكثر من ذلك . فلابدَّ من حائل يحول دون نجاحهِ وهو اما عدم سنوح الفرص او عدم الاهلية . وما من احدٍ لهُ اقل خبرةٍ بالاعمال يستطيع ان ينكر سنوح الفرص للشبان في مدن اميركا . خذ مدينة نيويورك مثلاً تجد ان الفرص السانحة فيها اكثر من الشبان المستطيعين ان ينتهزوها . وعلى الدوام ترى الحاجة ماسة الى شبان اكفاء ولكنَّ الاهليَّة غير موجودةٍ وان وُجدت فنورها مخفيٌّ تحت مكيال ومحجوب عن نظر اصحاب الاعمال المفتشين " بالسراج والفتيلة " على الشبان الاكفاء

واني حبًّا بالتماس الحقيقة في هذا الموضوع على وجه الدقة والضبط وتنكب الزيغ في قفار الخلط والخبط فحصت بنفسي اثنى عشر بيتًا من اكبر بيوت العمل تجارةً وصناعةً لأتحقَّق امر الفرص السانحة والابواب المفتوحة للشبان . فاخبرني اثنان فقط من اصحاب هذه الاثني عشر بيتًا بأنَّ عندهما شبانًا اهلاً لسدّ الحاجة وكفاية العمل وزادا على ذلك قولهما : " ومتى عرض لنا شابٌّ نستطيع ان نستفيد منهُ لا ندعهُ يرجع من عندنا فارغًا بل نستخدمهُ في الحال لانهُ عندنا مكان لمثل هذا على الدوام " . وفي كلٍّ من العشرة البيوت الباقية رأيت الابواب مفتوحة لواحد او اكثر من الشبان وفي اربعة منها ظلَّت الابواب مفتوحة اكثر من ستة اشهر وظلَّ الطلب مستمرًّا والتفتيش متواصلاً . والرواتب في هذه الاماكن من ألفين الى خمسة آلاف ريال في السنة وكلها على اختلاف العمل فيها محتاجة الى شبان اذكياء اقوياء ذوي نشاط ورغبة . اذًا لا يعوز الشبَّان فُرَص للعمل لانها موجودة بكثرةٍ بل يعوزهم اقتدار يمكنهم من انتهازها وان لم يكونوا قاصرين تمامًا عن انتهازها فهم غير مُريدين وهذا شرٌّ من ذاك

وقد امسى الشبان الآن مثل آلة تتحرك لنفسها فان الواحد منهم يأتي عملهُ صباحًا في الوقت المعيَّن ويباشرهُ بامانة ويذهب الظهر ليأكل ويعود الى استئناف العمل الى

الاصيل وما بعدهُ بقليل ويرجع الى بيتهِ منجزًا عمل يومهِ والغد وما بعدهُ نظير يومهِ تمامًا لا يفرق عنهُ شيئًا من هذا القبيل فعملهُ موقَّتٌ بالساعة وكما تدور يدور. وفيهِ يصحُّ القول انهُ هو هو امسًا واليوم والى الابد. لا ترى في عملهِ نقصًا ولا خللاً لانهُ يعملهُ كما أُشير اليهِ او كما تعملهُ آلة. وشابٌّ كهذا يحسب نفسهُ في الغالب انهُ متحشمًا عملاً شاقًّا او مبهوظ العمل مبخوس الاجرة. وعلى الدوام يعجب من ان مستخدمهُ غير مقدِّر عملهُ حقَّ قدرهِ ولا جاعلٌ راتبهُ كما يستحقُّ محتجًّا بقولهِ: "اني اعمل كل ما يطلب مني على وجه الإحكام والإتقان فماذا عليَّ اكثر من هذا"

هذا مثال الوف من الشبَّان القائمين في بيوت التجارة والصناعة والمعامل كلٌّ منهم يباشر عملهُ كل يوم لا يزيدهُ نجاحًا ولا يبتكر فيهِ شيئًا فهو مجرد آلة متحركة لنفسها وان يمت يُشغل مكانهُ في اقل من اربع وعشرين ساعة. وان كان لا يُنقص شيئًا من عملهِ فهو ايضًا لا يزيد عليهِ شيئًا بل يبقى كما كان حين دُعي اليهِ منذ بضع سنوات. ولا يتبادر الى ذهن القارىء اني ابخس الامانة في العمل حقها. على انها ليست سوى صفة سلبيَّة تمكِّن الانسان من المحافظة على مقامهِ طول حياتهِ وابقائهِ كما كان حين دُعي اليهِ لكنهُ لا يستطيع بهذه الصفة ان يزيدهُ اهمية ولا يكفي ان يقال عنهُ انهُ امين بل يجب ان يتصف بصفات أُخرى فوق الامانة

وقد يكتفي كثيرون من الشبان بالبقاء في المركز الذي حصلوهُ ولا يخطر ببالهم ان يعدُّوا انفسهم لمنصب اعلى ومقام اسمى. وعندي انهُ في امكان كل شاب ان يرتقي كيف كانت الاحوال بشرط انهُ لا يرهب جانب الصعاب في الاعمال وعليهِ ان يتعلم كيف يتقدم كما يتعلم كيف يرضي. وقد ظنَّ بعض الشبان ان التقدم يستحيل عليهم وهم في اماكنهم مدعين ان مستخدميهم يأبون عليهم ذلك وهذا خطأ لان تقدم العامل يدلُّ دائمًا على تقدم العمل ونجاحهِ. وكل صاحب عمل يودُّ ان يدفع الى مأجورهِ خمسة آلاف ريال بعد ما كان يدفع اليهِ خمس مئة ريال لان ما يفيد الشاب يفيد مستخدمهُ اضعاف الاضعاف. فالكاتب يراتب خمسة آلاف ريال يفيد العمل وينفعهُ بما يوازي خمسة اضعاف ما يأخذهُ من صاحبهِ. والشاب يستخدم العمل كما يختار تمامًا إمَّا حجر رحًى حول عنقهِ او درجة يصعد عليها الى عمل اهم ونجاح اتم. وممكنات التقدم والارتقاء وراء كل عمل وعلى العامل ان يراها وينتهزها

والتردد في العمل من اكبر العقبات في طريق النجاح فما من عمل يسمح لصاحبهِ ان

يباشر معهُ اعمالاً أُخر ريرجى منهُ خيرٌ على ان البعض يدعون ان قواهم اعظم من ان تستخدم لعمل واحد ودخلهم من ذلك العمل وحدهُ لا يفي بحاجتهم فيضطرون حسب زعمهم ان يمارسوا عملاً آخر معهُ لكن من المحقق ان كل من يسير في عملهِ على هذا النمط لا يؤمل لهُ نجاح لان مباشرة عمل واحد واتقانهُ خير من مباشرة اعمال متعددة لايمكن اتقانها معاً وعندي انهُ لو ادرك شبابنا حاجات المناصب القائمين بها لما وجدوا لديهم اسباباً تبعثهم على مباشرة اعمال أُخر

ان البقاء على حالة واحدة من مرادفات الموت واما الشاب الذي يتقدم فهو يطّلع على دخيلة عمل مستخدمهِ ويدلهُ على طرق جديدة ويبدي لهُ مشورات مديدة وافكاراً ثاقبة واراء صائبة. ولا سبيل الى ثقة رب العمل بكاتبهِ او مأجورهِ اوضح من انهُ يراهُ مدركاً العمل اكثر منهُ فشاب كهذا يحتيل في الحال انتباه رئيسهِ اليهِ واحتفالهُ بهِ فيترقى عند سنوح اول فرصة ان لم يثب من فوق اكتاف الآخرين. والشبان الصائبو الفكر القادرون على الاستنباط والاجراء ليسوا كثيرين حتى يضيع بينهم من يكون على هذا المثال فمن تلوح عليهِ لوائح كهذه لا يلبث ان يرتقي ويكسب فوق زيادة الدخل شرف الشهرة وهي الجائزة العظمى

ومما يعترض غالباً نجاح الشبان وينهيهم عن التقدم شركان منصوبان لهم في طريق العمل اولهما استخفافهم بصغار الامور والثاني خوفهم من الغلط فان الاعتناء بالاشياء الصغيرة قوام النجاح وعمادهُ والعمل الذي يعمل منهُ ثلثة ارباعهِ فقط شرٌّ مما لا يعمل منهُ شيءٌ مطلقاً. ومن يكون شديد العناية بالامور الصغيرة يُركن اليهِ في الامور الكبيرة ومن يستطيع التغلب على صغار المتاعب اعظم ممن يقوى على تذليل كبار المصاعب وليس من الحكمة ان نجيب في صباح واحد على عشرين رقيماً حين تكون تلك الرقُم في الحقيقة أنصاف اجوبة. ولاشيء ادل على احوال البيت التجاري من الرقُم الّتي يبعث بها الى الخارج

وخوف الغلط او الخطإ يثني عزم كثيرين من الشبّان ويحول دون نهوضهم. ومعلوم أن الغلط في الحساب أمر ذو بال وتجنبهُ واجب على انني لا اعتد مطلقاً بشاب لم يغلط قط ولا اخطأ في حساباتهِ. ثم ان بين اغلاطٍ واغلاطٍ فرقاً عظيماً فبعض الاغلاط يسهل اصلاحهُ وبعضها لا يستحق الالتفات اليهِ ولا الاكتراث لهُ. وكلنا عرضة للخطإ في الحكم وليس فينا من هو منزّه عنهُ. والشاب الذي يحجم خوفاً من الغلط او الخطإ يضيع اول سبب من اسباب النجاح

يجب على الشاب الطامع في الشهرة والتقدم ان يحرص اشد الحرص على سيرته وصيته . لا يمكنه ان يفعل ذلك مدة النهار فقط فلقد طالما كانت المجتمعات الليلية سبب سقوط مئات من الشبان بعضهم فوق بعض في مهاوي الخراب ووهاد الدمار . والقول ان ليس لرب العمل سلطة على وقت مستخدميه خارج العمل محض اغترار . اذ لهُ كل الحق ان يرى الذين ائتمنهم على اعماله غير منبعثين في ما يعرّض مصالحهُ للخطر ويعبث بمالهِ . وفي الغالب نرى الشبان من حيث المجتمعات الليلية على طرفي نقيض فاما انهم لا يخرجون من بيوتهم على الاطلاق وهو خمود وخمول او انهم يكثرون من الخروج وهو تطويح وتفريط . وليس من يجهل فائدة الحالة الوسطى في هذا الامر لان الاعتدال في ذلك ضروريٌّ لكل انسان ولا سيما للشبّان فيجب على الشاب ان يخالط الناس ليعرفهم ويعرفوهُ ويطلعوا على مكانهِ من الادب والمعرفة وحسن السلوك

ولا شيء اضرّ بصالح الشّاب وادعى الى تأخرهِ وانحطاطهِ من الانبعاث في طرق الخلاعات وإدمان المسكرات . واي شابٍ يستطيع ان يكون صافي الذهن صحيح الفكر بعد ليل احياهُ في الالعاب والملاهي . والمرء في الخامسة والعشرين احوج الى النوم منهُ في الخمسين . وكل شابٍ ينام في ليلهِ اقلّ من ثماني ساعات يسلب نفسهُ شيئاً كثيراً مما هو قوام حياتهِ . نعم ان هذه الخسارة قد لا يشعر بها في الوقت الحاضر ولكن النوم مصرف (بنك) تحفظ فيهِ القوّة ورباها الى المستقبل

كثيرون من الشبان يرون في ذواتهم عدم الاهلية للعمل لنقص في علومهم ومعارفهم ولانهم لم يتوفقوا في حداثتهم الى دخول المدارس الكليّة وبيوت العلم العالية لكنني ارى انهُ لا ينبغي للشاب ان يظن ذلك حاجزاً في طريق نجاحهِ في الاعمال فليس من مدرسة كليّة على الارض تجعل الانسان رجل عملٍ . نعم ان المعارف المكتسبة من المدارس الكليّة افادت كثيرين وسهّلت لهم النجاح من وجهٍ علميٍّ لكنّها لم تقدّر كثيرين ايضاً على النجاح في ساحة الاعمال . ولا اريد بهذا الغضّ من قيمة التهذيب المدرسي لكنني اريد ان الشاب لا يضعف عزمهُ بداعي افتقارهِ اليهِ حين يكون قد اصبح متعذرّا عليهِ وهو يروم مباشرة الاعمال وتعاطي اسباب المعيشة . فلن أستكملت فيهِ شرائط النجاح في العمل نجح بالرغم عمّا ينقصهُ من التهذيب العلمي وما السرّ في العالم بل في العامل ولا يُقبل الشبان في المعامل والمتاجر والمصانع بناء على شهاداتهم المدرسيّة بل على معارفهم العمليّة

لا يستحيل نوع من النجاح على كل شابٍ يراعي ما يأتي :

قبلما يحاول الشابُّ الحصول على النجاح يجب ان يقتنع حق الاقتناع بانهُ داخلٌ في عملٍ مرتبطة اجزاؤهُ بعضها ببعض وان هذا العمل سواءٌ كان تجارةً او صناعة شريف ومفيد ولهُ منهُ لذة ومسرة لان النجاح مضمون لكل من يعمل بنيَّة صادقة . واللذة الشخصيَّة في اي عملٍ كان زعيمة الحصول على بقيَّة الامور ولكن جميع الامور الأُخر تقصرُ عن ايجاد اللذة الشخصيَّة . اذًا يجب ان تكون هذه اولاً وبها يتغلب الشابّ على ثاني الموانع القائمة في طريق نجاحهِ وبعد ما يقتنع بانهُ مباشرٌ عملاً واجدًا فيهِ اعظم لذة واكبر مسرةٍ يجب ان يتذكر ما يلي

اولاً . ينبغي ان يكون امينًا اي ان لا يحيد يمينًا ولا يسارًا عن سبيل الامانة وطريق الاستقامة لان اثبت نجاح واصدق تقدم ما كان مبنيًّا على اساس الامانة المتين وليست الامانة الاساس فقط بل هي ذروة النجاح في الاعمال

ثانيًا . يجب ان يكون نشيطًا متيقظًا لكل فرصة تسنح ولا يتسامح في ترك فرصة واحدة تمر سدًى لانها قد تكون الحلقة ألتي بها تتم سلسلة نجاحهِ في عملهِ

ثالثًا. ينبغي لهُ ان يكون على الدوام راغبًا في التعلم والاستفادة غير متغاضٍ عن هذه الحقيقة وهي ان الآخرين قد تعلموا من وقت طويل ما يترتب عليهِ ان يتعلمهُ الآن

رابعًا . يجب عليهِ ان يتجنَّب المسكرات وليعلم انهُ اذا كان في ضررها بعض الريب فليس من ريب على الاطلاق في فوائد الاقلاع عنها

خامسًا . ليذكر على الدوام ان اعظم ما يمدح بهِ الشاب اكرامهُ واحترامهُ للآخرين فبعض الشبان يزدهيهم النجاح ويبعثهم على العجب والكبرياء والاستخفاف بالاشياء المرعيَّة الاحترام والاجلال . ومن شاء الوقوف على خلاصة ما ينبغي لهُ السلوك بموجبهِ فعليهِ بما يأتي

باشر العمل الذي ترتاح اليهِ

انصرف نحوهُ بكل قوتك

كن امينًا في كل شيءٍ

كن على الدوام حذرًا متيقظًا ولا تجرِ شيئًا اقتحامًا قبلما تُخلص امتحانهُ بنار التروي والامعان

نم ثماني ساعات كل يوم

احرص على كل ما هو ملاك الصحة وتوام العافية
تجنب المسكرات على انواعها
ان كان لا بد من التدخين فليكن على وجه الاعتدال
جانب البحث في كل ما نهايتهُ التخديش والتشويش
افتران بمن تشاركك في السراء والضراء وتقاسمك في هذه الحياة الافراح والاتراح

غرائب الاتفاق

اشرنا منذ بضعة اشهر الى الكتب القديمة التي اكتشفها الدكتور غروت الالماني في دير طور سيناء ووعدنا القراء برسم صورة خطها في المقتطف ثم شغلتنا الشواغل عن ذلك وكنّا كلما حاولنا رسم الخط وارسالهُ الى مدرسة الصنائع لينقش فيها يعرض لنا ما يشغلنا عن ذلك الى ان تمكنّا منهُ في احد الايام وارسلنا الرسم الى مدرسة الصنائع ونحن نشعر كأن الدكتور غروت اتى يطالبنا بوعدنا . ولم يمضِ ذلك اليوم حتى اتى من طور سيناء وكان قد مضى اليهِ منذ شهرين من الزمان وطالبنا بالوعد كما ظننا . فعجبنا من هذا الاتفاق الغريب وفيما نحن نفكر في هذه الحادثة ونفتش عن حوادث اخرى مثلها لنضمها اليها ارانا بعضهم مقالة في هذا الموضوع للكاتب الشهير صموئيل كلمنس الاميركي فلخصنا منها الحوادث التالية

الاولى — كان الكاتب مسافرًا في اوربا وخطر لهُ صديق كان فيها فقال في نفسهِ لو علم فلان بمجيئنا الى هنا لكتب الينا لاعالة . ومضت ستة اسابيع وهو يعزم كل يوم على الكتابة ثم يحجم عنها واخيرًا كتب وارسل الكتاب وهو معتقد ان صديقهُ قد كتب اليهِ في ذلك اليوم نفسهِ . وكان كما اعتقد لانهُ جاءهُ كتاب من صديقهِ حينئذٍ تاريخهُ مثل تاريخ كتابهِ تمامًا وقد قال فيهِ انهُ حاول ان يكتب اليهِ مرارًا منذ ستة اسابيع ولكنهُ لم يعرف عنوانهُ فكتب الكتاب اخيرًا وارسلهُ إلى السفارة الاميركيّة في برلين لكي ترسلهُ اليهِ . فاستلما الكتابين في وقت واحد . وزعم الكاتب ان عزمهُ على الكتابة كان ينبعث منهُ كقوة كهربائيّة اونفسيّة وينبّهُ صديقهُ ويدعوهُ الى الكتابة حتى اذا اشتد هذا العزم ودفعهُ الى الكتابة اشتد انبعاثهُ منهُ وتأثيرهُ في صديقهِ فدفعهُ الى